الأحد ١٩ محرّم ١٤٤٨ هـ - 5 يوليو 2026 م

أخبار النافذة

اليوم الذي ابتلعت فيه إسرائيل أعقد عملية خداع إستراتيجي فن خذلان الشعوب.. هل أدمنته أمريكا؟ وصار "المختارون" منبوذين ميزان القوى واتفاق إنهاء الحرب قفزة كبيرة بسبب الموندیال.. مصر تحقق أفضل تصنيف منذ 9 أعوام دراسة: الإنجاب يحمي بشكل طبيعي من سرطان الثدي حازم أبو إسماعيل يكمل 13 عامًا في السجن.. هل يتم الإفراج عنه بعد انتهاء محكوميته غدًا؟ النجاة في زمن الفتن.. تعظيم حق الله وحفظ الأخوة واتهام العقل ومجاهدة الهوى

Submit

Submit

- الرئيسية
- الأخبار
  - اخبار مصر
  - اخبار عالمية
  - اخبار عربية
  - اخبار فلسطين
  - اخبار المحافظات
  - منوعات
  - اقتصاد
- المقالات
- تقارير
- الرياضة
- تراث
- حقوق وحريات
- التكنولوجيا
- المزيد
  - دعوة
  - التنمية البشرية
  - الأسرة
  - ميديا

الرئيسية » دعوة

النجاة في زمن الفتن.. تعظيم حق الله وحفظ الأخوة واتهام العقل ومجاهدة الهوى

الأحد 5 يوليو 2026 05:00 م

في أزمنة الفتن والاضـطراب، لا يكون أوكد على المؤمن من حفظ صـلته بالله سـبحانه، وصـيانة رصيد حسناته، والتشبث بصالح عمله الذي يرجو به النجـاة يوم العرض الأكبر. فالعاقل لا يفرط في علاقته بربه، ولا يسـتهين بما وفقه الله إليه من طاعات سابقـة، لأنه يعلم أن الفوز الحقيقي ليس في سلامة الدنيا وحدها، وإنما في السلامة يوم القيامة، كما قال تعالى: {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}. ومن هنا كـانت النجاة في الفتن بابا من أبواب البصـيرة، لا يـدخله إلا من خاف على دينه، وراقب قلبه، ولزم حـدود الشـرع، وتورع عن مواطن الزلل والانقسام.

النجاة أول ما يطلبه المؤمن عند اشتعال الفتن

إذا اختلف الأخيار، وتنازع الفضـلاء، وتفرقت كلمة الصالحين، فإن أول ما يحتاجه العبد أن يطلب النجاة لنفسه، وألا يغتر بمكانة المختلفين أو فضلهم السابق، فإن الله قد يرحمهم بحسن سوابقهم، أو يفتح لهم باب توبة بعد خطئهم، أما هو فعليه أن يخاف على نفسه من الانزلاق في مهاوي الفتن ومضـلاتها. وقد جاء في الحديث عن المقداد بن الأسود رضـي الله عنه قال: أيم الله سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إن السـعيد لمن جنب الفتن، إن السـعيد لمن جنب الفتن، إن السـعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا} رواه أبو داود. فهـذا الحديث يضع قاعدة جامعة في التعامل مع الفتن، وهي أن السلامة لا يعدلها شيء، وأن من ابتلي فصبر فقد نال خيرا عظيما.

ويقرر هـذا المعنى أن الفتنـة لا تظهر آثارهـا فقـط في تضارب المواقف، بل تتجلى بصورة أشـد خطرا في إهـدار حقوق الأخوة، والإعجاب بالعقل، وغلبة الهوى، وهي أبواب إذا فتحت على العبد أفسدت دينه وقلبه وسلوكه.

تعظيم حقوق الأخوة في زمن الخلاف

أول الواجبات في الفتنـة أن يعظم المؤمن حقوق الأخوة، وأن يرعى جانبها أشـد الرعايـة، لأن هذا هو وقت امتحانها الحقيقي. فالشـيطان لا يطمع في شـيء كما يطمع في هـدم ما بين المؤمنين من محبـة وستر وتقـدير، وقـد يزين للعبد أن إهدار الحقوق مبرر بدعوى الخطأ، أو أن الخوض في الأعراض مقبول بحجة الانتصار للحق، فيقع في الظلم وسوء الظن والاتهام والتشويه، وينسى عيوب نفسه وآفاتها.

وفي هذا المعنى جاء البيت البليغ:

فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها *** كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وهذا البيت يردع النفس عن التطلع إلى الكمال في الناس، ويذكرها بأن الفضلاء بشر، وأن من النبل أن تكون عيوب المرء قليلة معدودة، لا أن يكون معصوما من الخطأ.

وقـد بيّن شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه الله هذا الباب بيانا دقيقا فقال: (ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين من بعدهم إلى يوم الدين ـ أهل البيت وغيرهم ـ قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونا بالظن، ونوع من الهوى الخفي فيحصـل بسـبب ذلك مالا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين، ومثل هـذا إذا وقع يصـير فتنـة لطائفتين، طائفـة تعظمه، فتريد تصويب ذلك الفعل، واتباعه عليه، وطائفـة تـذمه، فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنـة، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمـان، وكلا هـذين الطرفين فاسـد). وهـذه الكلمـة العظيمـة ترسم منهجا وسـطا، فلا إفراط في التعظيم يفضـي إلى تصويب الخطأ، ولا تفريط في الذم يفضي إلى إسقاط أهل الفضل والطعن في ديانتهم.

ولهذا كان القول والميزان والرد والقبول معروضا على الوحيين، الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذ به، وما خالفهما رد على قائله، ولا يتصدى لمناقشـة هذه المسائل إلا من كان من أهل الاختصاص والتمكن من العلماء، ولا يفتح الباب للرويبضة، وهم السـفهاء الذين يتكلمون في أمر العامة بلا علم ولا دين.

ومن أعظم ما يجب تذكره أن أولى الناس برعاية حقك في الأخوة هو أخوك إذا زل أو تعثر أو انكشفت لك عثرته. ففي هذه اللحظات يظهر معدن الإيمان، ويتميز من يستر وينصح ويعذر، ممن يفضح ويتشـفى ويستطيل. وقد حرم الله الغيبة والبهتان وتحقيق الأذى للمؤمنين، وحرم الظلم والنميمـة والفضـيحة والتـدابر، وحرم كـل مـا يهـدر الأخوة والحب والتـآلف بين المؤمنين، ثم أجمل ذلك كله في قوله سـبحانه: {إنما المؤمنون إخوة}. فهذا الوصف ثابت للمؤمنين، ولا يسقطه مجرد خلاف يقع بينهم.

وجاء عن أبي هريرة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: (لا تحاسـدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضـكم على بيع بعض، وكونوا عبـاد الله إخوانـاً، المسـلم أخو المسـلم لا يظلمه، ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشـير إلى صـدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشـر أن يحقر أخاه المسـلم، كل المسـلم على المسـلم حرام، دمه وماله وعرضه). فهذا الحديث أصل عظيم في صيانة المجتمع المؤمن من عوامل التآكل الداخلي، وهو يربط بين الأخوة والتقوى والعدل وحفظ الدم والمال والعرض.

ومن استقرت في قلبه هذه المعاني عظم المسلم عنده، وأحجم عن أذيته بقول أو فعل، ورعى حرمته، وأما من لم يرفع بكلام الله ورسوله رأسـا، فـإنه يسـهل عليه هتك الأعراض والاعتـداء على الحرمات، فيشـبه الـذين قال الله فيهم: {لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}. وهذا هو الوجه القبيح الذي تظهر به الفتن إذا استحكمت بين المسلمين.

اتهام العقل والتواضع عند اضطراب الأمور

أمـا الواجب الثـاني عنـد وقوع الفتنـة فهو اتهام العقل، والتواضع الشديـد في تقـدير النفس، وعـدم الاغترار بالـذكاء وسـرعة الفهم وحسـن التحليل. فكثير من الناس يـدخلون الفتن من باب الثقـة الزائدة في الرأي، والتعويل على الفهم المجرد، واستسـهال الحكم على الأشـخاص والوقائع والمآلات، مع أن العقل مهما بلغ يبقى محدودا، ويحتاج إلى نور الوحي وضبط الشرع.

وحسب المؤمن في هـذا الباب أن يتأمل في قصـة نبي كريم زكاه الله بالحكمـة والعلم وفصل الخطاب، وهو داود عليه السـلام. قال تعالى: {وَقَتَـلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}. وقال سـبحانه أيضا: {وَلَقَـدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْـلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيـدَ}. ومع هـذه المنزلـة العظيمـة، غـاب عنه فهم مسألـة قضائيـة، وفهمهـا ابنه سـليمان عليه السـلام، كمـا قال تعالى: {وَدَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَـانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِـدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُـلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79)}. فإذا كان هذا وقع لنبي كريم، فكيف يطمئن الإنسان إلى عقله كل الاطمئنان، أو يرى نفسـه فوق الخطأ وسوء التقدير.

ومن تمام هذا المعنى ما وقع من أم سـلمة رضـي الله عنها يوم الحديبية، حين أشارت على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم برأي سديد، بعد أن دخل عليها مهموما محزونا لما رأى من تردد الصحابة في التحلل من الإحرام. فقالت له: يا نبي الله أتحب أن يطيعوك، فاخرج إليهم، ولا تكلم أحـدًا منهم، ولا تنظر إليهم، وانحر بدنك، وادع حالقك فيحلقك، وسينصـرك الله. فأخذ رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بمشورتها، فكـان في ذلـك الفرج والانقياد. وهـذا يربي المؤمن على أن الحكمـة قـد تظهر على لسان من لا يتوقعه الإنسان، وأن الاسـتبداد بالرأي آفة مهلكة.

وكـذلك زكى الله رأي عمر بن الخطاب رضـي الله عنه المخالف لرأي رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ورأي أبي بكر رضـي الله عنه في قضية أسرى بدر، وفي ذلك دلالة على أن الصواب قد يتوزع في الأنظار، وأن الواجب هو التماس الحق لا تقديس الرأي.

وقـد جاء التحذير الجامع في الحديث عن أنس رضـي الله عنه أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قال: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه». فهـذا الحديث يختصـر أصول الضـلال في باب الفتن، ويجعل إعجاب المرء برأيه من جملة المهلكات التي تفسد عليه أمر دينه ودنياه.

رؤية الهوى ومجاهدته في كل موقف

أمـا الواجب الثالث فهو أن يرى الإنسان هواه، بل أن يبحث عنه، ويتحرى أثره في كل قول وفعل، وفي كل فكرة وشـعور، وفي كل رد فعل وقرار. فالهوى من لوازم النفس البشـرية، ولا يعصم منه على وجه الكمال إلا نبي كريم. وقـد خص الله رسوله صـلى الله عليه وسـلم بهذه العصمة فقال: {لا ينطق عن الهوى}. وأما غيره من الناس فإن الهوى يلابس طبعه، ومن أنكر ذلك فقد زكى نفسه بغير حق.

ولهذا جاء النهي الصـريح في كتاب الله: {فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}. فاتباع الهوى يصـد عن العـدل، ويفسـد الحكم، ويقود إلى الميل والجور. وقال سـبحانه أيضا: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ}. فعدم الاستجابة للحق في كثير من الأحيان ليس ناتجا عن نقص الدليل، وإنما عن تغلب الهوى على القلب.

وقـد أحسن الإمام الشاطبي رحمه الله في بيان هـذا الأصل حين قال في ذم البـدع: "أنه اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعا للشـرع لم يبق له إلا الهوى والشـهوة، وأنت تعلم مـا في اتبـاع الهوى وأنه ضـلال مبين، ألا ترى قول الله تعالى: يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَـةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ [ص: 26]، فحصـر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجردا إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك". فهذا الكلام يقرر أن العقل إذا انفصل عن الشرع لم يعد عقلا هاديا، بل صار آلة يتلاعب بها الهوى.

ولهذا عاد الحديث النبوي مرة أخرى ليؤكد هذا الأصل نفسه، فعن أنس رضـي الله عنه أن النبي صـلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث مهلكات: شـح مطـاع، وهـوى متبـع، وإعجـاب المرء برأيه». وتكرار هـذا المعنى في التقرير ليس تكرارا لفظيـا فحسب، بـل هو تأكيـد على أن الهوى والإعجاب بالرأي من أعظم أبواب الهلاك زمن الانقسام والاضطراب.

الاعتصام بالوحي سبيل السلامة

إذا اجتمعت هـذه المعاني في قلب المؤمن، علم أن النجاة لا تكون بكثرة الجدل، ولا بتتبع كل خلاف، ولا بالخوض فيما لا يحسن، وإنما تكون بالاعتصـام بـالله، والتمسـك بكتابه وسـنة نبيه صـلى الله عليه وسـلم، ورد ما أشـكل إلى الله ورسوله، والوقوف عنـد حـدود العلم، والتزام الصمت عما لا ينفع.

وفي هـذا السـياق يأتي القول النفيس للإمام الذهبي رحمه الله: (إذا وقعت الفتنة! فتمسك بالسـنة، والزم الصـمت، ولا تخض فيما لا يعنيك، وما أشـكل عليك فرده إلى الله والرسول، وقف! وقل: الله أعلم). وهـذه الكلمات تختصـر منهج النجاة كله، لأنها تجمع بين التمسك بالأصل، وكف اللسان، ورد المشتبه إلى الوحي، والوقوف عند حد العبدية.

خاتمة

إن الفتنة لا ينجو منها من كان أسرع الناس كلاما، ولا من كان أشدهم تحليلا، وإنما ينجو منها من عظم حق الله، وخاف على حسناته، وحفظ حقوق إخوانه، واتهم رأيه، ورأى هواه، واعتصم بالوحي، واسـتظل بقول الله تعالى: {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنـة فقـد فاز}. فهذه هي الغايـة الكبرى، وهـذا هو الميزان الذي يضـبط كل موقف، ويهدي المؤمن إذا اختلطت الطرق، واضـطربت النفوس، وتكاثرت دعاوى الناس وأقوالهم.

اقتصاد

الـ"شعبة" تعترف: ارتفاع أسعار الأسماك والفسيخ والرنجة 30% بسبب الوقود
الثلاثاء 14 أبريل 2026 09:00 م

اقتصاد

بالصور: إصابة 18 طالبة في حادث أتوبيس بطريق الصعيد الحر بالمنيا
الخميس 9 أبريل 2026 11:20 م

مقالات متعلقة

نوعرف على نوفعضتسملا رصتنيو نيح ..نيكمتلاو مايصلا نيبو ءاروشاع

عاشوراء بين الصيام والتمكين.. حين ينتصر المستضعفون على فرعون

لمعلاو نيقيلا ةعانصىلإ نيملكتملا لدج نم .. ردقلاب نامي‌لإا

الإيمان بالقدر .. من جدل المتكلمين إلى صناعة اليقين والعمل

ةعيرشلا دصاقمل ةفلاخمو شغو مارح ةماقلإا لجأ نم يروصلا جاوزلا :عاتفلإا يبورولأا سلجملا

المجلس الأوروبي للإفتاء: الزواج الصوري من أجل الإقامة حرام وغش ومخالفة لمقاصد الشريعة

تاذلاو دوجولل نانسنلإا ةيؤر علىب ةداعإو ميركلا نآرقلا

القرآن الكريم وإعادة بناء رؤية الإنسان للوجود والذات

-
-
-

إشترك ادخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2026 ©